المحاضرة التاسعة: التعدد اللغوي

1/ مفهوم التعدد اللغوي:

إن مصطلح التعددية اللغوية يشير في الأدبيات اللسانية العامة إلى وضعيات تواصلية لغوية مختلفة، أي استعمال أكثر من نظام لغوي واحد داخل المجتمع، أو قدرة المتكلم على الحديث بأكثر من لغة.

لقد تعددت وتباينت تعاريف التعددية اللغوية عند الباحثين اللسانيين، **فالفاسي الفهري** قد أشار في هذا الصدد إلى مسألة التعددية اللغوية قائلا :إن المجتمعات اللغوية يطبعها التعدد اللغوي، وهذا التعدد له جانب يتمثل في اختلاف الألسن بين لغة وطنية رسمية ولغات أجنبي.[1] أما **جولييت غرمادي** فقد جمعت بين ظاهرتي التنوع اللغوي والتعدد اللغوي تحت ما يسمى بالتباين اللساني وأحيانا تسميه بالتلون اللساني .في حين نجد **صالح بلعيد** يعرف هذه الظاهرة قائلا :إن التعدد اللغوي هو مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد.[2] وحسب لويس جون كالفي فالتعددية اللغوية Plurilinguisme هي قدرة الفرد على استخدام أكثر من لغتين.[3]

انطلاقا مما سبق يتضح لنا أن التعدد اللغوي هو ظاهرة اجتماعية إنسانية شائعة منذ القدم، وتشكل خاصية من خصائص المجتمعات المعاصرة، فالشخص متعدد اللغات يستطيع التواصل مع جميع الأفراد ويواجه الشعوب المختلفة، حيث يقال في هذا السياق" **من تعلم لغة قومه أمن مكرهم**."

2/ أصناف التعدد اللغوي:

أ/ التعدد اللغوي الاجتماعي:

وهذا التعدد نجده متفشي في مختلف طبقات المجتمع دون ما إقرار من جانب الحكومة، ويكتسبه المجتمع نتيجة احتكاكه مع شعوب أخرى مختلفة عنه في اللغة، أو نتيجة الهجرات، أو الاستعمار أو غيرها من العوامل الأخرى، وهذا التعدد طبيعي لا تحكمه قوانين ولا أطر تنظمه من قبل الحكومة إنما فرضته قوى خارجية متنوعة كالهجرة والاستعمار ... إلخ .

ب/ التعدد اللغوي الرسمي

وهو ذلك التعدد الذي تقره الدولة رسميا في دستورها كما أشرنا سابقا إلى كندا وسويسرا حيث تقر بالتعدد اللغوي في تعاملاتها الإدارية ووثائقها الرسمية. لكن عند النظر إلى الواقع اللغوي في الجزائر تتراء لنا التعددية اللغوية بصفة

---

[1] حوار اللغة، الفاسي الفهري، إعداد حافيظ الإسماعيلي العلوي: ط 1 ، 2007 ، منشورات زاوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ص: 32

[2] في الأمن اللغوي: صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، 2010 ،ص:210

[3] حرب اللغات والسياسات اللغوي: لويس جان كالفي، ت :حسن جمزة، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ط 1 ، 2008 ، بيروت،ص:397 .

جلية، سواء على مستوى المجتمع أو المستوى الرسمي دون أي إقرار دستوري، فالجزائر تعلم في مدارسها اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، وفي بعض المناطق الأمازيغية والألمانية والإسبانية وغيرها... لكن لا نرى أي مادة في الدستور تنص على قضية التعددية اللغوية.

3/ أسباب التعدد اللغوي:

أ/ الغزو العسكري:

من أبرز الأسباب المؤدية إلى حدوث ظاهرة التعدد اللغوي في العالم العربي الاستعمار ، حيث تقوم الدولة المستعمرة بفرض لغتها بقوة في المؤسسات التعليمية والإدارات وغيرهم من المؤسسات، وهكذا يبقى الوضع على هذا الحال حتى الاستقلال، وبالرغم من ذلك تبقى لغة الدولة المستعمرة سائدة في البلد المحتل.

ولقد أحدث الاحتلال العسكري نتائج جسيمة على جميع المستويات(سياسية، اقتصادية، ثقافية، لغوية .)... ومحو اللغة الرسمية للبلاد(اللغة العربية)،وفرض لغته في جميع المجالات(التعليم، الصحة)...

ب/ الهجرة الجماعية:

تعد الهجرة من أهم أسباب التعدد اللغوي فكثيرا ما تحدث نتيجة لأسباب متعددة(سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ودينية)...، بالإضافة إلى الاضطهاد والقمع السياسي من أبرز الأسباب الذي يؤدي إلى نزوح السكان من بلدانهم إلى بلدان أكثر أمنا وآمانا، و غنى بحثا عن العمل.

فالمهاجرون يحتكون بالشعوب المختلفة و يتأثرون بلغة البلد المقيمين فيه، فبمرور الزمن يجدون أنفسهم بحكم الإقامة الدائمة مضطرين إلى الاندماج في الوسط الذي هاجروا إليه وأقاموا فيه بسبب المصالح المشتركة بينهم، ومن هنا تبادلوا ما احتاجوا إليه في لغة البيئة الجديدة[4]. وهذا كله ينتج عنه ما يسمى بالتعدد اللغوي.

د/ الزواج:

لقد أصبح الزواج بين الأجناس والأعراف المختلفة سببا من أسباب الاحتكاك اللغوي، فمثلا زواج أجنبي من عربية ينتج عنه اكتساب الأطفال لغتين بطريقة مباشرة، فالزواج الخارجي يفرض على أحادي اللسان تلوينات وتباينات لسانية، وهنا يجد نفسه أمام تعددية لغوية أو أمام ثنائية لغوية.

إن ما يميز هذا العامل عن باقي العوامل هو محدودية تأثير هذا العامل في المجتمع، لأن هذا العامل قد ينتج عنه تعددية لغوية فردية أي داخل الأسرة فقط، وفي بعض الأحيان تنتج عنه تعددية لغوية داخل المجتمع.

هـ/ تربوية تعليمية:

من أبرز العوامل والأسباب المسؤولة عن تفشي ظاهرة التعدد اللغوي الأسباب التربوية والتعليمية، فلو عدنا مثلا إلى التعليم في المدارس الجزائري وجدنا الكثير من المواد العلمية تستعمل مصطلحات أجنبية مثل الرياضيات والفيزياء والعلوم، بالإضافة إلى المعاهد العلمية والتقنية في الجامعات الجزائرية، ولا يخص هذا الوضع الجزائر فقط بل

---

[4] إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3 ، 1996 م، ص: 115.

الكثير من البلدان العربية تدرس التخصصات العلمية بلغاتها الأصلية لافتقادها التعريب، وهذا الوضع يخلق لدى المتعلمين خطاب عربي مشوب بمصطلحات أجنبية ولهجية.

و/ ذاتية نفسية:

الكثير من أفراد المجتمع يميلون إلى النزوح لاستعمال اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية، في تواصلهم اليومي أو يراوحون بين اللغة العربية والفرنسية لفقدانهم الثقة باللغة الأم لأنها لغة كلاسيكية لا يضم حقلها إلا التخلف والجهل في نظرهم لكن تختلف نظرتهم إلى لغات الغرب المتحضر فعند استعمالهم لهذه اللغات فإنهم يشعرون بالاعتزاز عند استخدام اللغات الأجنبية، لأنها لغة الغرب القوي والمتحضر والمتفوق، ولا يمكن الاستهانة بهذا السبب لأنه من أهم الأسباب في واقعنا اللغوي الجزائري، لأن فقدان الثقة بالذات والرغبة في تقليد الغرب في كل شيء حتى في لغته أصبح محل التنافس خاصة على مستوى فئة الشباب.

4- انعكاسات التعدد اللغوي على العملية التعليمية التعلمية :

إن ظاهرة التعدد اللغوي تختلف من بلد لآخر، ففي بعض البلدان خلفت آثارا إيجابيا، وهذا ما نلحظه في البلدان المتقدمة، حيث ساهم في التفاهم بين المجموعات اللغوية والمعرفة المتزايدة فيما بينها .ويقول الباحث **أوفيليا غارسيا** في هذا السياق":التربية الثنائية اللغة والمتعددة اللغة عي في الحقيقة تربية صحيحة متعددة الثقافة، تتجاوز التعبير عن الأحاسيس الإيجابية، لتمنح الناس وسيلة حالية وهي الثائية اللغوية لخلق معرفة وتفاهم كبيرين"[5].أما بلدان المغرب العربي فقد خلفت هذه الظاهرة آثارا سلبيا، وعجزا عن التواصل بين سكان مختلف المناطق داخل البلد الواحد .ومن أهم مخلفات هذه الظاهرة اللغوية نجد ما يلي:

أ/ الصراع اللغوي :

لقد خلفت ظاهرة التعدد اللغوي في المجتمع العربي صراعا لغويا قويا بين اللغات، بين العربية المعيار واللغة الفرنسية من جهة، وبين اللغة العربية واللهجات من جهة ثانية، وهذا ما جعل اللغة العربية تواجه صراعا مع عدة لغات أجنبية في البلدان العربية، فمثلا في بلدان الخليج يحدث صراعا بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية، أما في بلدان المغرب العربي كالمغرب والجزائر يحصل صراعا قويا بين اللغة العربية واللغة الفرنسية .إضافة إلى هذا الصراع بين اللغات الرسمية، نجد نوع آخر من الصراع اللغوي الذي لا تخلو منه أية دولة أو مجتمع، وهو صراع بين العامية (اللهجة)واللغة الفصحى.

إن هذا الصراع التي تعيشه اللغة العربية مع اللغات الأجنبية واللهجات العامية هو صراع مرير، ينعكس سلبا على اللغة العربية الفصحى التي أصبحت شبه غائبة في الخطابات الاجتماعية، ولم تعد تحظى هذه اللغة باهتمام كبير ومكانة عظيمة، كما كانت عليه في العصور القديمة مع العرب القدماء الذين كانوا يهتمون باللغة العربية

---

[5] أوفيليا غارسيا، التربية الثنائية اللغة، دليل السوسيو لسانيات، تحرير /فلوريان كولماس، ص:877 .

لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم .أما في العصر الحديث فقد ضعف الاهتمام باللغة العربية وانصب الاهتمام على اللغات الأجنبية والميل إلى التباهي بها. عموما فالصراع اللغوي في المغرب أدى إلى فقدان اللغة العربية لمكانتها المرموقة التي كانت تحظى بها مع القدماء، وساهم في ظهور خليط من اللهجات المتنوعة والألفاظ الهجينة وجعلها لغة للتواصل الاجتماعي.

ب/ التداخل اللغوي:

خلق التداخل اللغوي في البلدان العربية تداخلا لغويا وقع على جميع مستويات اللغة، معجميا، صوتيا، تركيبيا، ودلاليا.

1- المستوى المعجمي:

يعد التداخل اللغوي على المستوى المعجمي من أكثر التداخلات حضورا في جل اللغات منذ القدم، فقد دخلت الكثير من الألفاظ إلى الوسط اللغوي الجزائري منها ما هو عامي ومنها ما هو أجنبي مثل كلمات من ناحية تراموای فيسبوك، كويزينة المونديال، صالة، كونترول، كور، تيدي، سونطراك أرشيف بالو ميكرو، تيليفون، أبيز بيتزيري .... وغيرها من الألفاظ التي لها حضور داخل المجتمع الجزائري في حين ليست لها أي مرجعية في اللغة العربية.

2- المستوى التركيبي:

يظهر التداخل اللغوي على المستوى التركيبي بصورة واضحة لدى المتعلمين، حيث أصبحنا نلحظ في اللغة العربية ظهور أنماطا جديدة ناتجة عن تداخل النمطين الفرنسي والعربي على مستوى تراكيب الجمل، وخير مثال على ذلك الصيغة التالية :**ممنوع الوقوف**، التي تم فيها تقديم الخبر على المبتدأ في حالة وجوب تقديم المبتدأ على الخبر، فتكون الصيغة الصحيحة :**الوقوف ممنوع**، فهذا النمط تم أخذه من الصيغة الفرنسية.

3- المستوى الصوتي:

يتميز الخطاب التواصلي العربي بوجود أصوات كثيرة، والتي تبدوا أنها عربية فصيحة لكن هي في الأصل لا تنتمي إلى الفصيح بتاتا، وخير مثال على ذلك حرف"ڤ "الذي يكون بديلا في بعض الأحيان بديلا للحرف" ق " فنقول: **ڤال** بدلا من **قال** .إضافة إلى حرف " **ڤ** "نجد حروف أخرى ك " :ڭ "و " پ" ليست من حروف اللغة العربية، بل هي حروف دخيلة على الكلام العربي بصفة عامة، وعلى الكلام الدارج بصفة خاصة.

4- المستوى الدلالي:

لقد خلق هذا التعدد الكثير من اللبس الدلالي، حتى أصبح في الجزائر عسر كبير في التواصل من مكان إلى آخر " فإذا غادر أمي من أسرة ريفية قريته ليستقر بإحدى القرى في الجنوب مثلا سيكون من الناحية اللسانية بمثابة المهاجر عن وطنه إذ سيحتاج لفك العزلة اللسانية عن نفسه إلى بذل جهد ثقافي للتمكن من التواصل في الوسط اللغوي الجديد ، وخلق هذا اللبس الدلالي الكثير من سوء الفهم في العملية التواصلية سواء على مستوى

المجتمع أو على مستوى العملية التعليمية فتجد مثلا المدرس يستخدم لغة منطقة غير التي نشأ فيها الطفل فعدم التزام كثير من الأساتذة باللغة الفصحى داخل القسم، فيستخدم بعض الألفاظ من لغة أجنبية أو لهجة محلية، مما قد يسبب ظلما لبعض الطلبة والتلاميذ الذين لا يفهمونها ليسا وغموضا ويؤدي لكثير من الخلافات نتيجة سوء الفهم.